غرفة الماكياج

مسرحية في ثلاثة فصول

بقلم قاسم حول

الاشخاص : ناظم . رافد . عائشة

«ليس الخطأ في القضية ، انما الخطأ في القضاة»

ناظم ـ (بشخصية مدير المسرح)
اصدقائي الطيبين جدا . نرحب بكم في مسرحنا هذا . المسرح هو الحياة ، والحياة هي المسرح ، والاختلاف بسيط جدا ، ففي المسرح تدفعون ثمنا بسيطا وتشاهدون المسرحية . اما في الحياة فانكم تشاهدون المسرحية ومن ثم تدفعون الثمن ، وقد يكون الثمن هنا فادحا .. قد تكون حياتكم هي الثمن .
معذرة .. بودنا ان تعيشوا حياة هانئة سعيدة ولاطول فترة ممكنة .

(يخفت الضوء)

الفصل الاول

اللوحة الاولى

(جزء من المسرح على شكل بيت بغدادي وقد جلس رافد وهو يتحدث من خلال الشباك)

رافد ـ المسألة يا عائشة فيها شيء من التعقيد . فالمرأة التي اتمناها زوجة لي اريدها ان تشعرني صباح كل يوم بأننا قد تعارفنا توا ... لا اود ان تتحول علاقتي الجنسية معها الى مسألة رتيبة سئمة مثل وجبات الطعام .
عائشة ـ ومن يدريك انني لا اوفر لك مثل هذه الحياة ؟
رافد ـ اخشى ان لا يتحقق هذا . كفاني ما عانيت من حياة سادها الخوف واشباح القطط السوداء تطاردني .
عائشة ـ ما هذه القطط السوداء التي لا تنفك تتحدث عنها ؟
رافد ـ القطط السوداء التي وضعوني معها داخل كيس من القماش السميك .
عائشة ـ لماذا ؟
رافد ـ لكي ادلي بمعلومات كاملة عنك اينها الفاتنة .
عائشة ـ اريد ان ارى ما فعلته القطط السوداء بجسدك الابيض .
رافد ـ كلا فالخدوش ما زالت بعد طرية .
عائشة ـ دعني اراها .
رافد ـ هـء .
عائشة ـ رافد .
رافد ـ هـء .
عائشة ـ اتوسل اليك .

(يفتح رافد ازرار قميصه قرب الشباك فنسمع صرخة عائشة)

رافد ـ هذا هو عنادك الذي اخشاه، وتوسلاتك المتعبة التي تحول لحظاتنا الحلوة الى اسى قاتل . عائشة ، لم يعد الموت نهاية طبيعية للانسان هذه الايام ، فلقد ارتبط ايضا بالاختيار والحرية واصبح طريقا للخلاص من الهموم ومنفذا يفر من خلاله الانسان المحاصر . (تبكي) .. وبعد .. انفضي هذا الندى عن وريقات الورد .
عائشة ـ قبلني .
رافد ـ هنا في غرفتي ؟
عائشة ـ كلا من خلال الشباك .
رافد ـ هـء
عائشة ـ اذن اطفىء الضوء .
رافد ـ لماذا ؟
عائشة ـ الا تدرك اننا شخوص في مسرحية وهناك مجموعة من المشاهدين يتطلعون نحونا ؟
رافد ـ حسنا ، نفعل ذلك في غرفتك .
عائشة ـ اخشى ان يفاجئني والدي فيذبحني .
رافد ـ حسنا ، ولكنني لا استطيع اطفاء الضوء .
عائشة ـ اطلب من مدير المسرح ان يفعل ذلك .
رافد ـ لا اريده ان يطلع على شيء من الامر .
عائشة ـ لا بد من تضحية .
رافد ـ حسنا .

(يدخل ناظم مدير المسرح)

ناظم ـ سمعتكما تتحدثان عني ، هل من خدمة ؟
رافد ـ وددت لو يطفأ الضوء .
ناظم ـ ولكن المشهد الاول لم ينته بعد .
رافد ـ اعلم ذلك ، ولكن نهاية هذا المشهد لا تتم الا بين اثنين في خلوة ، ولوحدهما .
ناظم ـ فهمت ، تودان صناعة حيوان صغير يبكي بعد تسعة شهور .

(يخفت الضوء)

اللوحة الثانية
(شجرة يابسة ومصطبة)

رافد ـ انت على علم بالمسالة وبكافة التفاصيل .
ناظم ـ الرجل المتزن هو الذي يمسك زمام نفسه .
رافد ـ امرأة جميلة مثل عائشة تجعل الفا من الرجال ينهارون مرة واحدة ويتخلون عن كافة التزاماتهم . ولقد تم ذلك بموافقتك شخصيا باعتبارك مسؤولا عني .
ناظم ـ لقد انتهى كل شيء .
رافد ـ انا احدثك الان كصديق .
ناظم ـ لكنني على عجلة من امري .
رافد ـ هل لي ان اعرف المكان الذي ستستقر فيه ؟
ناظم ـ لماذا ؟
رافد ـ ربما استطعت ان اهيىء نفسي للسفر . ربما اقتنعوا بضرورة مغادرتي ، عندها سأطلب المكان الذي ستكون فيه .
ناظم ـ لا نرى ما يبرر مغادرتك ، فالمسالة احوج ما تكون الى امثالك. اما بالنسبة لي فلانني وجه معروف بات من العسير جدا ان انتقل من هنا والى هناك .
رافد ـ لكنني مريض ومتعب ، ثم انك ادرى من غيرك بما عانيت .
ناظم ـ علمت بانهم سيبعثون اليك بطبيب خاص .
رافد ـ لكنني اريد ايضا ..
ناظم ـ اسمع . ليس لدي متسع من الوقت . بعد قليل سيزورك وبنفس هذا المكان رجل اخر ، فاشرح له تفاصيل القضية ، المسائل العامة والخاصة وسيعطيك الحلول . انا سعيد ان اتعرف على رجل صمود مثلك .. سأبعث لك ببطاقات بريدية وعلى العنوان المعروف . (يخرج)
رافد ـ آه .. آه .. ايتها الشجرة الملعونة ، ما يحزنني ، انه ليست الفصول هي التي اودت بوريقاتك الجميلة ، فمن انتزعها كان مسخا قميئا بدا امامك غولا فتضاءلت . جفت المياه وانطفأ نور الشمس . كل ذلك جرى في لحظات .. كيف حدث ذلك على وجه التحديد .

- ثلاثة عشر شرطيا من ذوي القبعات الخضر عبروا الشوارع بكل رعونة .
- ثلاثة عشر كلبا سائبا مروا في مسيرة غير منتظمة .
- ثلاثة عشر ذئبا غادروا الغابة وساروا في شوارع المدينة بحرية مطلقة .
- ثلاثة عشر ثعلبا خرجوا من جحورهم هازئين بالصواب .
- ثلاثة عشر نعشا فارغا في جوفها آلات موسيقى الجاز .
- ثلاث عشرة بعوضة مترنحة مرت حول اغصانك .
- ثلاث عشرة سيكارة من ذوات العقب الفليني .
- ثلاثة عشر من جوازات السفر .
- ثلاث عشرة خنفسة دبت بمحاذاة الارصفة .

المجموع مائة وسبعة عشر .. مائة وسبعة عشر ماذا ؟ مائة وسبعة عشر قطا اسود تماسكت يدا بيد ورقصت على نغم موسيقى الجاز . قدمت لها الحلوى في اغلفة الورق الشفاف فراحت تمضغها بأفواهها العريضة وكانت تلتزج باسنانها المخروطية (نسمع موسيقى الجاز راقصة وصاخبة ويروح رافد يرقص على ايقاعها بينما يدخل مدير المسرح ناظم في هيئة تختلف قليلا قبل خروجه) .
ناظم ـ لا يليق برجل ملتزم يهذر بهذا الشكل .
رافد ـ معذرة سيدي ، لكن الانسان عندما يختلي مع نفسه يتصرف تماما على خلاف ما يكون مع الاخرين . الانسان في غرفته وهو يستمع الى الموسيقى غير ما يكون في كيس من القماش ضمن مجموعة من القطط السوداء . الانسان وهو يلقي خطابا سياسيا امام الجماهير غير ما يكون مع زوجته على السرير ، أو ..
ناظم ـ كفاك هذيانا يا رافد .
رافد ـ (يبكي) لم تعد عذراء .
ناظم ـ من هي التي لم تعد عذراء .
رافد ـ عائشة .
ناظم ـ اغتصبتها اذن ؟
رافد ـ الرغبة .. المكان .. الاختيار .
ناظم ـ والقضية ؟
رافد ـ سقطت .
ناظم ـ متهم انت يا رافد .
رافد ـ مثل اي اخر .
ناظم ـ كيف تحدد المسؤولية ؟
رافد ـ وجوهنا المتعبة . انغمارنا في السلك الدبلوماسي . تهافتنا على مكتب جوازات السفر . احلامنا الصغيرة جدا . حديثنا المخلص عن الفلسفة .
ناظم ـ اذن كيف تحل المسالة ؟
رافد ـ المسألة ستظل معلقة هكذا ، ولعلها تحل بطريقة الصدفة .
ناظم ـ لماذا لا نبدأ بالمسائل الصغيرة هنا وهناك وشيئا فشيئا تتبلور المسألة وتتوضح جوانبها .
رافد ـ حسنا . لنبدأ بقضيتي .
ناظم ـ تزوج الفتاة .
رافد ـ وبعد ؟
ناظم ـ تأتي مرحلة التأمين على حياتها .
رافد ـ وبعد ؟
ناظم ـ اقتلها .
رافد ـ كلا كلا كلا .. عملية غاية في القذارة . لست وحشا . ارجو ان لا تزجوني اكثر وفي مسائل تتجاوز حدود انسانيتي .
ناظم ـ هل تقترح حلا اخر ؟
رافد ـ لا ادري .
ناظم ـ تأمل .
رافد ـ لا املك القدرة على تنفيذ عملية قتل انسان .
ناظم ـ لا نريدك ان تكون الفاعل فهناك قتلة مأجورون .
رافد ـ وهل ستدفع الشركة مبلغ التأمين في مثل هذه الحالة ؟
ناظم ـ استطيع ان اقول نعم .
رافد ـ ومن يتسلم المبلغ ؟
ناظم ـ هبة لك ايها الصديق العزيز .
رافد ـ وما الذي افعله بالمبلغ بعد ان اصبح مثل جرذ في مصيدة ؟
ناظم ـ امكاناتنا تسمح لنا بتهيئة ظروف السفر .
رافد ـ تقول استطيع ان ارحل .
ناظم ـ اؤكد لك ذلك .
رافد ـ اتحرر ؟
ناظم ـ اجل .
رافد ـ الى اي مكان ؟
ناظم ـ المكان الذي تختار .
رافد ـ (بلهجة طفولية) ارغب بالرحيل على ظهر باخرة .
ناظم ـ وتروح تحلم وانت تخترق البحور الزرق سندبادا جديدا .
رافد ـ تبدو لي وكأنها احلام .
ناظم ـ ابدا ، حقائق.. الرحيل عبر البحر .. الرحيل.. الرحيل..

(صرخات امراة وضوء سيارة الاسعاف الاحمر يوضح بعض ملامحها والقاتل . صوت سيارة الاسعاف يمتزج مع صرخاتها)
(يطفأ الضوء)

اللوحة الثالثة

(ينار الضوء من جديد ويرى ناظم يمثل عدة شخصيات)

ناظم ـ (بائع الصحف) جريمة غامضة ارتكبت عصر اليوم . اقرأ التفاصيل على الصفحة الرابعة .

ناظم ـ (الدجال) مسحوق جديد يزيل البقع الداكنة على الملابس ، الحبر ، والدماء ..

ناظم ـ (بائع الكتب) كتب مقروءة افلس اصحابها . ثمنها بخس للغاية. السام لالبرتو مورافيا . الغثيان لسارتر . الغريب لكامي . الخرتيت لليونسكو . قضية كافكا ايضا .

ناظم ـ (الشحاذ) من يرحم الشحاذ المشرد في هذه المدينة . طعام لاطفالي الجياع .. ادامكم الله ايها الافاضل . جائع ومشرد دونما ماوى . امنحونا مما رزقكم الله .

ناظم ـ (المجنون) سيداتي سادتي .. انني ابحث عن شخص طيب القلب وقاتل في نفس الوقت ، ولص شريف يأكل ذيول القردة بعد ان يرش عليها التراب . اذا ما شاهدتموه فرجائي اليكم ان تخبروه بان ناظم المجنون يسأل عنه ويلح في مقابلته .. ناظم المجنون هو انا ايها الاصدقاء .

ناظم ـ (العجوز) (وهو يحمل مظلة) يا للمصيبة ، يا للمصيبة كيف تمطر السماء مثل هذا المطر الاسود وهي صافية تماما ؟ منذ متى والامر قد ساء الى هذا الحد ؟ كل شيء لم يعد خاضعا للمنطق .. وانا .. انا الفيلسوف الذي قرأ كل كتب الدنيا كيف يستعصي عليه فهم مثل هذه الامور ؟ لقد هرمت . انها الشيخوخة اللعينة ، عسيرة الفهم في هذه الايام . امس فقط كنت شابا يافعا . كيف هرمت خلال اربع وعشرين ساعة فقط . لم اعد استوعب امور هذه الدنيا . آه . عندي ساعة من الوقت استطيع ان اصل فيها الى المحكمة . لقد اتعبني هذا الصبي الذي قتل زوجته .

ـ ستار ـ

الفصل الثاني

اللوحة الاولى

(محكمة فيها ناظم يمثل دور الحاكم وأمامه رافد كمتهم)

ناظم ـ (يقلب اوراقا) الشاهد رقم واحد .
غير موجود ؟
الشاهد رقم سبعة
غير موجود ؟
الشاهد رقم عشرة
غير موجود ؟
الشاهد رقم ثلاثة عشر

رافد ـ لقد ادلى بشهادته قبل الاخرين .

ناظم ـ متى ؟

رافد ـ قبل دخولك يا سيدي . قال اني اود ان ادلي بشهادتي واعلن عن نفسي امام جميع الناس ، فالحاكم لا يعني شيئا بالنسبة لي ، قالها ورحل .. وعندما لم يتمكن من قول ما يريد امام الجميع مرة واحدة فقد ذهب الى دار الاذاعة وأعلن عن نفسه وآرائه هذا اليوم .. كما ..

ناظم ـ هـا ؟

رافد ـ كما ..

ناظم ـ ماذا ؟

رافد ـ كما اعلن عن تعيينك رئيسا للقضاة حال انهاء محاكمتي .. علي ..

ناظم ـ هـا ؟

رافد ـ على ..

ناظم ماذا ؟

رافد ـ على ان يكون القرار هو الاعدام .

ناظم ـ شنقا حتى الموت .

رافد ـ ولكنني لا اريد ان اموت .

ناظم ـ لماذا ؟

رافد ـ لان هناك اشياء كثيرة كنت احلم بتحقيقها .

ناظم ـ مثلا .

رافد ـ طبع بعض مسرحياتي .

ناظم ـ حسنا . سنقوم نحن بمهمة طبعها وتوزيعها ، ثم ، ستكون في هذه الحالة اكثر رواجا بعد ان تكتسب شهرة عظيمة اثر اعدامك .

رافد ـ ولكنني اريد ان اقوم بنشرها والمس اثرها بنفسي .

ناظم ـ ليس ذلك بذي اهمية في نظري .. لا تقلق . سأتولى المهمة بنفسي وكن على ثقة تامة باني ساصدرها بشكل انيق .

رافد ـ ثم اني ..

ناظم ـ ثم ماذا ؟ تحدث بصوت مسموع .

رافد ـ كانت عندي رغبة في السفر .

ناظم ـ استطيع ان احقق لك هذه الرغبة . سنمنحك اجازة لمدة شهر واحد .. ها .. ونرسلك الى اي مكان تريد برفقة اثنين من رجالنا لفرض الحراسة لا اكثر ولا اقل .. ها .. الرجال لا يحملون غير المسدسات ، وانت لا تضع في معصمك غير الاصفاد ، ويبقى المفتاح بحوزتي ، لانك كما تعلم ، والمغريات كثيرة ايها الصغير ، قد يندفع احد رجالنا فيفك وثاقك .. حسنا ، ما اسم جدك يا صغيري ؟

رافد ـ اسم جدي ؟

ناظم ـ نعم .. هل من غرابة في سؤالي .

رافد ـ ولكن ماذا يعنيك من اسم جدي وانا المتهم ؟

ناظم ـ نريد ان نعرف المسبب الحقيقي .

رافد ـ لا اتذكر اسمه .

ناظم ـ هل كان يعشق الخيول ؟

رافد ـ اعتقد ذلك ، فحتى نحتفظ له بصورة وهو يمتطي جوادا .

ناظم ـ حسنا .. هل كان صديقا للملك فيصل الاول ؟

رافد ـ لا اعلم على وجه التحديد .

ناظم ـ متى توفى جدك المرحوم ؟

رافد ـ لا اتذكر تماما ، ولكن يقال انه اثناء الحرب العالمية الثانية كان قد خاض معركة عنيفة وقاوم الجنود المحتلين فخرج من المعركة منتصرا . وعندما وصل البيت وتناول قدحا من الحليب ، وبالصدفة كان الحليب مسموما فمات على اثرها .

ناظم ـ حسنا ، كيف استطاع جدك الملعون هذا اغتيال زوجتك اللطيفة؟

رافد ـ لكنه ميت يا سيدي . انا الذي قتلتها .

ناظم ـ انت قتلتها ؟

رافد ـ نعم .

ناظم ـ ولكن اين ذهب الشهود ليدلوا بشهاداتهم ؟

رافد ـ انني اعترف لك يا سيدي ، فما حاجتك الى شهود .

ناظم ـ مع ذلك فلا بد من شهود .كيف تمت الجريمة ؟

رافد ـ لقد قتلت انسانين وليس انسانا واحدا . في البداية كان لا بد من اتخاذها زوجة لي انقاذا للموقف ، وكان الاتفاق ان نقوم بالتامين على حياتها ثم نقتلها . ولكن بعد ان اقترنت بي

شعرت بانني احب هذه الانسانة محبة تفوق كل شيء . نسيت بعدها فكرة التأمين على حياتها وقتلها . كانت امرأة رفيقة هادئة نظمت حياتي ، لكن شيطاني اللعين كان يزورني كل يوم ويحرضني .. وكان يردد جملة واحدة .. لماذا افسدت الاتفاق ؟ خبرته بانني اعشق عائشة وانغمر في حبها ، فقال لي .. اذا لم تنفذ الاوامر المرسومة فسنعلن عن كل التفاصيل. سنعلن عن اسمك الحقيقي وننشر صورك بكل الصحف والنشرات ودور السينما والتلفزيون .. نعلن بان فلانا هو فلان بن فلان مجرم وقاتل وخائن ، وستحاكمك المنظمة ونسلم امر الاعدام الى كل اعضائها .

ناظم ـ وهل يملك حق تقرير الاعدام اخرون من غير القضاة ؟

رافد ـ اجل سيدي .

ناظم ـ حقيقة لم اكن افهمها .

رافد ـ كثيرة هي الحقائق التي يستعصي فهمها ايها الرجل المبجل.

ناظم ـ الرواية غاية في الطرافة . حكومات داخل حكومات اخرى ، وأخرى صغيرة داخلها حتى تنتهي بحجم البعوضة . تحدث: هل قمت بالتأمين على حياتها ؟. بالمناسبة ، كم يبلغ عمر الراحلة ؟

رافد ـ ثمانية عشر عاما .

ناظم ـ شعرها ؟

رافد ـ اسود .

ناظم ـ البشرة ؟

رافد ـ بيضاء .

ناظم ـ العينان ؟

رافد ـ خضراوان .

ناظم ـ الاهداب ؟

رافد ـ سوداء .

(صمت)

رافد ـ هل انهم الحكاية يا سيدي ؟

ناظم ـ دعني اتأمل .

(صمت)

ناظم ـ غاية في الجمال .

اكمل .. هل تمت عملية التأمين على حياتها ؟

رافد ـ نعم سيدي ، وتم كل شيء .

ناظم ـ وعملية القتل ، هل تمت على احسن ما يرام ؟

رافد ـ ماذا تقصد بقولك على احسن ما يرام ؟

ناظم ـ اقصد هل سالت الدماء القانية على جيدها الابيض ؟

رافد ـ ليست هذه لغة القضاة يا سيدي ؟

ناظم ـ اجبني ، هل غسل القاتل يديه بعد اتمام الجريمة ؟

رافد ـ فعل ذلك ، وما ادراك ؟

ناظم ـ هل ربت على كتفيك بعد ما خرج ؟

رافد ـ قام بذلك فعلا . استطيع ان اجزم بانك انت قاتلها .

ناظم ـ كيف سمح لنفسك بقول هذا ؟ كيف يمكن ان يتحول القضاة الى قتلة ؟ انك متهم بقضيتين ، قتل زوجتك ، واتهام القضاء بالجريمة . ستشنق مرتين .

رافد ـ كيف قتلت زوجتي ؟

ناظم ـ في اية ساعة تمت الجريمة ؟

رافد ـ كيف دخلت البيت ؟

ناظم ـ هل كنت على اتفاق مسبق مع القاتل ؟

رافد ـ هل تسلمت الاجور ؟

ناظم ـ ما هو المبلغ المتفق عليه ؟

رافد ـ أمن اجل الصفقة ؟

ناظم ـ أمن اجلها ؟

رافد ـ اني اتهمك ؟

ناظم ـ اتتهم القضاء ؟

رافد ـ مجرم .. الجريمة .. بئر الدماء .. الوحش .. المعتوه .. قتلتم عائشة .. قتلتموها .. كانت لمحة من نور سرعان ما انطفأت . لقد دفعتني الى ما كل هو سيىء . لقد آمنت بالبيت وتهيأت للبناء ، مؤمنا بتلك التي تصنع الرجال .. الام . زرعتم بي الشرور .. انت ، انت وحدك المتهم .. آه .. ليس الخطأ في القضية انما الخطأ في القضاة .

ناظم ـ رافد . اين انت يا رافد ؟ انقذني .. فقدت بصري .. النور .. لذة الحياة .

رافد ـ هل عميت ؟

ناظم ـ اوصلني الى الطريق .. الى البيت . اعدني ..

رافد ـ حسنا ..

انا لا اريدك ان تنتهي هذه النهاية المفزعة . صديقي العزيز، لقد ارتبطت بك منذ زمن طويل ، ولا اريد هنا ان تنتهي مثل قطرات المطر ، تخترق المسافات لتسقط على الارض وهي لا شيء على الاطلاق .. اريد لهذه القطرة ان تخترق الارض من جديد ، لترويها وتبرعم النبتة وتملأ الارض بالخضار .

(يتقدم نحو المشاهدين)

ترى هل انا مخلص الى هذا الحد ؟ لا ادري ، فقد اكون كذلك ، ولكني سانهيه مثلما انهاني .

(يعود نحو الحاكم الاعمى ناظم)

سيدي العزيز . سانظم احتفالا جماهيريا ، اريدك ان تلقي فيه خطابا توضح من خلاله تجربتك وأن تخط على اثرها الخط الجديد للعمل .. انت نفسك .. الموهوب .

ستار

الفصل الثالث

اللوحة الاولى

(في طرف المسرح منصة الخطيب وفي الطرف الاخر منضدة عليها اكثر من جهاز تسجيل وبين طرفي المسرح صفان من الكراسي لتشكيل ممر في وسط المسرح . يدخل رافد وهو يقود ناظم نحو المنصة ويسرع رافد ليخفت الصوت شيئا فشيئا) .

ناظم ـ ايتها الجماهير المعذبة

ايها الجياع

ايها المشردون

ايها العاطلون

عندما كنت فتى يافعا في المدرسة الثانوية حدث ان التقيت مع مجموعة من زملائي في الصف قرب نهر صغير وكان يوصل بين ضفتيه معبر من جذع نخلة . وقفنا قربه وقد امسكنا بدراجاتنا التي كنا نجول بها في الشوارع . وقفنا هناك وكان موضوع حديثنا هو من يستطيع اجتياز المعبر وهو على دراجته ، ونحن في حدة احاديثنا جلب انتباهنا فجأة عبور احد الزملاء على الدراجة، وفوجئنا به وهو في الطرف الاخر. اثار هذا الطالب غضبي وغيرتي اذ استطاع ان يقوم بالعمل ويحقق النجاح قبلي ، وعندما اعلنت عن امكانيتي في العبور زاد من اندفاعي تحريض الاخرين للقيام بالمهمة فما كان مني الا ان امتطيت الدراجة متجها من مسافة بعيدة نحو هذا المعبر الضيق المتآكل . ولم اشعر بنفسي الا وأنا مدمى وعلى وجهي جروح كثيرة وأنا غارق في الوحل .

بقيت هذه الحادثة في ذهني استرجعها كلما اقدمت على عمل . والسؤال الذي اناقش نفسي معه وانا في هذه المرحلة وعبر حياتي التي قدمتها لكم .. هل انتهز غفلة الاخرين للوصول الى المكان المعين لاتخلص من التشويش الذي يسبب لي الارباك ثم اعلن عن ذلك ، ام اتخذ موقف المواجهة وأقوم بالمهمة مستفيدا من تشجيعهم لي ؟ لماذا سقطت في النهر ؟

من المسؤول عن سقوطي هذا ؟ أهو عدم مقدرتي في الوصول ام ضجيج الاخرين هو الذي اربكني ؟

اتذكر انني كنت في حينه متمكنا فعلا .. حسنا ، قلت مع نفسي ، ما دام الاخرون هم السبب فعلي ان اقوم بالتجربة دون وجودهم . عدت بعد ايام للمكان نفسه .. لا احد .. صمت تام قرب مزرعة النخيل . وقفت . لا اسمع سوى نقيق الضفادع ، فساورني خوف رهيب اكثر من يوم السقوط . فعدت من حيث اتيت ، واتذكر في حينه ان دموعي سالت وشعرت بملوحتها في فمي ..

من منكم ذاق طعم الدموع ؟.

ايها الاصدقاء

ما هي الحاجة لعبور النهر ما دام المعبر ضيقا وخطيرا ؟ لم لا نبدأ بعمل الجسر ونسير بكل ارتياح دونما مخاوف ، وهناك من يصنع الجسر . مزارعو المنطقة .. طلبة المدارس المجاورة للمزرعة .. عمال السكك الحديدية في محطة القطار. كلهم قادرون على بناء جسر متين يسهل العبور ، ولا داعي لكل انواع المجازفة . انتم صانعو الجسر ..

رافد ـ ونحن عابروه (يطلق عدة طلقات من مسدس ثم يدير تسجيلا لنسمع صراخا وضجيجا ورافد يبتسم لارتباك ناظم ، ثم يدير تسجيلا اخر نسمع منه صوت سيارة الاسعاف ..)

ناظم ـ الهي ، ما الذي يحدث هنا ؟ اين انت يا رافد ؟ انني اطلب واحدا من رجال البوليس ليأخذني الى حيث اقول كل شيء. انني رجل كهل فقد بصره وجيء به الى هنا قسرا ، فلا علاقة لي بالمسألة اولا وأخيرا .

رافد ـ من الذي جاء بك الى هنا ؟

ناظم ـ من هذا الذي يتحدث .. رافد ؟

رافد ـ نعم رافد .

ناظم ـ ماذا يحدث هنا . ما هذه الطلقات ومن مصدرها ؟

رافد ـ المعنيون .

ناظم ـ وهل بقيت وحدك ؟ اين ذهب الاخرون .

رافد ـ فروا خوفا من الموت .

ناظم ـ ولم تركت انت طليقا ؟

رافد ـ بانتظارك لنذهب معا .

ناظم ـ الى اين ؟

رافد ـ الى حيث تدلي باعترافاتك .

ناظم ـ كيف تطلب مني ذلك يا رافد ؟ هل انت واحد منهم ؟

رافد ـ لا يعنيك من اكون . فلقد صرحت قبل قليل وطلبت اخذك لتقول كل شيء ، وأدعيت بأنك قد جلبت الى هنا قسرا ، ويريدون ان يعرفوا كيف حدث هذا ؟

ناظم ـ ولكن خبرني كيف انيطت بك المهمة ؟

رافد ـ هذا ما حدث ، ولا تسلني كيف ، فلقد دار الزمان دورته فاصبح القاضي متهما والمتهم حاكما . تعال معي ايها الصديق (يمسكه ويسيران) .

ناظم ـ الى اين نتجه ؟

رافد ـ الى مكان لك فيه ذكريات قديمة .

ناظم ـ ارجو ان لا يكون العنف اسلوبا في المناقشة .

ستار

الفصل الرابع

اللوحة الاولى

(رافد وقد جلس في البيت على كرسي هزاز وقد وقف ناظم على منصة وهو مقيد اليدين وكأنه المسيح)

رافد ـ من الذي نفذ الجريمة ؟

ناظم ـ انا

رافد ـ كيف ؟

ناظم ـ عندما دخلت البيت ، كانت عائشة قد خرجت توا من الحمام. حيتني ، وعتبت على زياراتي المتقطعة لكم . ترددت في اول الامر ، ولكن عندما اجتازتني متجهة نحو الغرفة اسرعت فامسكتها من شعرها ، وقبل ان تتم صرختها انتهى كل شيء.

رافد ـ (ينهض ويتناول سوطا ويضرب ناظم)

ناظم ـ صديقك الحميم .

رافد ـ لم قتلت عائشة ؟

ناظم ـ حدث هذا بالاتفاق معك يا رافد .

رافد ـ لم يكن في يدي حل اخر ، ثم اني عدلت عن الفكرة بعد ذلك.

ناظم ـ في الحقيقة اني كنت احسدك لانك تملك زوجة جميلة مثل عائشة ، ثم ادري من هي عائشة ؟

رافد ـ من ؟

ناظم ـ سأذكرك .

(يخفت الضوء)

اللوحة الثانية

في غرفة وقد جلس رافد يضرب على الالة الطابعة والمطر يهطل في الخارج ـ يطرق الباب دفتين ثم ثلاثا ثم واحدة ـ فينهض رافد ويفتح الباب فيدخل ناظم)

ناظم ـ لقد وصلت بصعوبة . الجو فارس البرودة في الخارج ولكن له نكهة خاصة . سأوقد المدفأة .. الشوارع خالية تماما ،او تكاد . وأنا في طريقي اليك شعرت بان احدا كان يلاحقني . اخذت ابطيء السير فأبطأ هو الاخر . اسرعت ، فاسرع او هكذا شعرت ، انعطفت في زقاق ضيق فانعطف هو الاخر . وايقنت انه يلاحقني انا بالذات . وقفت واوقدت سيكارة علّه يسبقني، لكن خطوانه قد سكنت ، فأحسست انه وقف أيضا ، وعندما التفت نحوه شاهدته وهو يدخل بيته .

رافد ـ (ضاحكا) كان يجب ان تطلق عليه الرصاص وتصبح عندها مجرما . هل تريد كوبا من الشاي يدفيء اوصالك ؟

ناظم ـ لقد جلبت زجاجة من الخمر ، فالليل لا ينقضي بدونها .

(يهيىء قدحين)

رافد ـ تظل معجبا بالمشروبات الاجنبية .

ناظم ـ مشروبات صنعت خصيصا للشتاء . كم بقي لتنتهي من طبع الكراريس ؟

رافد ـ ليس كثيرا .

ناظم ـ (يوقت ساعة منضدية) ساجلس في الرابعة صباحا لاسحبها بآلة الرونيو . فطفت اليوم اجمل زهرة وقدمتها لها . فضينا ما يقرب الساعتين في المطعم .

رافد ـ صباحا ؟

ناظم ـ اجل لقد غادرت المدرسة . جلسنا وتحدثنا .. قالت انيخائفة سألتها مم تخافين . هزت كتفيها دون ان تقول كلمة واحدة. لا تبتسم .. صحيح اني اتصرف مثل طالب عاشق . عندما سرنا معا كنت احمل بعض الكتب فتأبطها كما يفعل الطلبة . انني اكثر شوقا من اي وقت لاعود الى حياة الطلبة .. لذيذة بكل سخافة الامتحانات المدرسية . في السنة التي فصلت

فيها كنت راسبا في الامتحان الاول بخمسة دروس .. كنت شغوفا بلعبة المنضدة .

رافد ـ (ينهض) انا أيضا كنت شغوفا بهذه اللعبة . كنت اتمنى ان اصبح لاعبا شهيرا قبل ان اهوى المسرح . ضاع مني كل شيء ، وانا الان سجين هذه الغرفة .

ناظم ـ ستثمر جهودنا يا رافد .. خذ .. استعد .. خذها .. اي .. (يبدءآن بلعب المنضدة متخيلين ذلك ويسمع وقع الكرة على المنضدة . يستمران في اللعب)

رافد ـ لست لاعبا ماهرا . احذر ان تلمس المنضدة .. ها .. اصبح ثلاثة ضد لا شيء .

ناظم ـ (يمسك الكرة قبل ضربها) رافد . عندما كنت معها في المطعم التفتت وعندما لم تجد النادل ضغطت على يدي وقبلت الوردة .

رافد ـ اضرب الكرة لا تزدني حزنا . فأني لم امر بمثل هذه التجربة حتى الان (يلعبان) اصبحنا ثلاثة مقابل نقطتين . ناظم ، هل أتيحت لك فرصة تقبيلها ؟

ناظم ـ حتى الان ، لا .

رافد ـ .. هل تتمناها زوجتك ؟

ناظم ـ افضل ان نبقى عاشقين، واحلم ان التقي معها ليلا ونسير في ليلة ممطرة .

رافد ـ (يرمي بالمضرب ويقترب من ناظم ويضع كل واحد منهما يده على كتف الاخر ويعودان نحو المنضدة)

ناظم ـ (يمسح دمعة كانت قد سالت على خد رافد)

رافد ـ الرجال يبكون احيانا . خوفي ان تتلاشى احلامنا .

ناظم ـ الخوف يطاردنا يا رافد . خذ اشرب شيئا .

رافد ـ هل فعلت صديقتك بالوردة كما تفعل الطالبات ؟

ناظم ـ هذا ما فعلته . قطعت وريقاتها ووضعتها بين اوراق كتاب الجغرافيه ، سألتها لم فعلت ذلك يا عائشة ؟

رافد ـ عائشة ؟

(يضحكان)

رافد ـ اخيرا عرفت اسمها ، ما الداعي لكتمانه طوال هذه المدة .

ناظم ـ مجرد رغبة ..

رافد ـ عائشة .. اسم جميل ..

(يطفأ الضوء)

(ما زال رافد جالسا على الكرسي الهزاز وما زال ناظم معلقا)

رافد ـ اذن هي عائشة التي احببتها من قبل ؟

ناظم ـ نعم .

رافد ـ وهي نفس الدوافع التي حدت بك لقتلها ؟

ناظم ـ ليست هذه بالضبط ، بل كنت مخلصا بالتخلص منها .

رافد ـ (ينهض ويبدأ بضربه بالسوط) اعترف ايها القذر .

ناظم ـ نعم نعم نعم ... كنت احبها

رافد ـ (يضربه)

ناظم ـ آخ .. رافد ، رافد .. رافد ..

(تبرز عائشة على شكل شبح)

عائشة ـ كف عن الضرب يا رافد . لقد ادميته . هل اغمي عليه ؟

رافد ـ ليتني انهيته .

عائشة ـ رافد .. اما زلت تهواني ؟

رافد ـ لا ادري . لقد قررت الانسحاب من هذا العالم .

عائشة ـ كلا ، فالحياة لا يعرف طعمها غير الاموات .

رافد ـ اتخذت قراري ، وآمنت بما أتخذت من قرار ، لان كل الطرق مغلقة تماما ، ولا منفذ لي سواه . ايقاع رتيب متوتر قاتل موحش ، احسه في كل لحظة من لحظات الوعي التي اعيشها. شيء غريب يلاحقني ويدعوني واجد نفسي مشدودا اليه . لم يعد في البقاء ما يبرر التعاطف معه .. كل شيء يخذلني وينكث عهوده معي . اختلط كل شيء ، الكذب والصدق . النقاء والتلوث .. لا ادري . لم اعد قادرا على التمييز ، ولم يعد يعنيني من كل ذلك اي شيء فانا عندما اموت لن اخسر شيئا وعندما احيا لن اربح شيئا .

عائشة ـ انت وحدك المسؤول عن كل ما حدث .

رافد ـ انا ؟

عائشة ـ ومن غيرك ؟ لم خنت نفسك ؟

رافد ـ خنت نفسي !

عائشة ـ كنت صاخبا ولطيفا . احاديثك كلها لذيذة ، ونطلعاتك لا يعكرها طموح انساني . خبرني اما زلت تحب البرتقال ؟

رافد ـ لم يعد له طعم في فمي .

عائشة ـ من يقدم لك القهوة صباحا ؟

رافد انك تواجهينني باشيائي الصغيرة .

عائشة ـ من التي تصغي اليك الان ، واي صوت يجيب على تساؤلاتك ؟

رافد ـ عائشة

عائشة ـ كنت تريد ان تأتي بعمل باهر .. هل توصلت الى ما يرضي طموحك ؟

رافد ـ تبعثرت كل طموحاتي .

ناظم ـ اسمع صوتها .

رافد ـ (ينهض في محاولة لضربه)

عائشة ـ لا تفعل ذلك يا رافد .

ناظم ـ اكلت الفأرة ذئبا وسارت حشود النخيل بعيدا عن شاطىء النهر وتلونت كل اشياء الدنيا بلون اصفر، الناس والبيوت والعربات والحدائق ...

عائشة ـ انه يحتضر ..

ناظم ـ خذني اليك ايها الصديق الوفي .

رافد ـ لست صديقك يا ناظم .

ناظم ـ انا لا اخاطبك .

عائشة ـ من تخاطب اذن ؟

ناظم ـ الصوت .

(يهرع رافد بحنان ليخلص ناظم من القيود وينزله ليجلس على الكرسي ويبقيان جالسين دون ان ينبسا بكلمة)

(صمت)

عائشة ـ انها خيبة الامل ، تموت في كل حين ثم تولد من جديد. لا شهود عيان لا حقيقة .انا فقط جئت من اللامكان لاشهد بنفسي احتضار المخلصين .

ظنوا أن كل شيء قد انتهى ناسين بان السكر الذي نثر على الرصيف سيجمعه النمل من جديد في خلاياه الخفية . عليكم لعنة الجيل الجديد وكل جيل جديد .. وجديد ..وجديد..

(يختفي شبح عائشة)

رافد ـ ساد الصمت اخيرا .

ناظم ـ ووضح كل شيء .

رافد ـ البيت ؟

ناظم ـ لم يعد صالحا للسكن .

رافد ـ سأطلعك على سر .

ناظم ـ ماذا ؟

رافد ـ ان عائشة قد دفنت في هذا البيت .

ناظم ـ هنا ؟

رافد ـ أجل هنا ، وسيظل شبحها يراود اذهان ساكني البيت .
ناظم ـ وكيف السبيل الى الهروب والطرق محاصرة .
رافد ـ لا ادري ، فان مئات العيون تتطلع نحوك في كل مكان .
ناظم ـ خبرني ، أين هي غرفة عائشة ؟
رافد ـ ماذا تريد منها ؟ مقفلة منذ يوم الجريمة .
ناظم ـ المساحيق .
رافد ـ اية مساحيق ؟.
ناظم ـ الطلاء ، المساحيق التي تتجمل بها النسوة .
رافد ـ ماذا تفعل بها ؟
ناظم ـ نغير ملامحنا كي نتسلل في الشوارع ونوفر لانفسنا فرصة الرحيل .
رافد ـ هو السبيل الوحيد . (يذهب ويفتح بابا)
ناظم ـ (لوحده) ليس الخطأ في القضية ولكن الخطأ في القضاة .. تقولها وانت متهم ، اما اذا اتيح لك ان تصبح قاضيا فستصرخ قائلا ليس الخطأ في القضاة ولكن الخطأ في القضية نفسها .. لا ادري ، فلقد التبس كل شيء وعلينا ان نواجه انفسنا من جديد .
(يدخل رافد وهو يحمل ادوات المكياج مع مرآتين ويبدءآن بوضع المساحيق على وجهيهما)
ناظم ـ كن سعيدا ..
رافد ـ لماذا ؟
ناظم ـ سنشاهد معا فلما سينمائيا .
رافد ـ حقا ؟ أين ؟
ناظم ـ في احدى صالات السينما . سنصبح احرارا .
رافد ـ احذر ان تستعمل احمر الشفاه .
ناظم ـ زد في تجاعيد الوجه واتقن رسم الشاربين .
رافد ـ هل ستدهن شعرك بالابيض ؟
ناظم ـ افعل ذلك أنت .
رافد ـ العينان هما الشيء الوحيد الذي يصعب تلوينه .
ناظم ـ نلبس النظارات .
رافد ـ طبعا ، ستعذرني عن كل ما بدر مني . هل اوجعتك السياط .
ناظم ـ ليس كثيرا . فلم تكن قاسيا الى الدرجة التي تعتقدها . أنا ايضا اقدم اعتذاري
رافد ـ بم بم بم بم ، هاي .. كأننا ممثلون على المسرح .
(يقرأ مقطعا من هملت)
« البقاء ام الموت ، ذلك هو السؤال . أمن الانبل للنفس ان يصبر المرء على مقاليع الدهر اللئيم وسهامه ، أم يشهر السلاح على بحر من المكاره ، ويصدها ينهيها ؟ نموت .. نموت ... ننام .. وما من شيء بعد .. انقول بهذه النومة ننهي لوعة القلب ، والاف الصدمات التي من الطبيعة تعرض لهذا الجسد ؟ تلك غاية ما احر ما تشتهي . نموت .. ننام .. ننام ـ واذا حلمنا ؟ اجل لعمري، هناك العقبة . فما قد نراه في سبات الموت من رؤى ، وقد القينا بفانيات التلافيف هذه عنا ، يوقفنا للتروي. ذلك ما يجعل طامة من حياة طويلة كهذه. والا فمن ذا الذي يقبل صاغرا سياط الزمن ومهانته ، ويرضخ لظلم المستبد ، ويسكت عن زراية المتغطرس ، واوجاع الهوى المردود على نفسه ، ومماطلات القضاء وصلافة اولي المناصب، والازدراء الذي يلقاه ذو الجدارة والجلد من كل من لاخير فيه، لو كان في مقدوره تسديد حسابه بخنجر مسلول ؟ من منا يتحمل عبئه الباهظ لاهثا ، يعرق تحت وقر من الحياة ، لولا ان الخوف من امر قد يلي الموت ، ذلك القطر المجهول الذي من وراء حدوده لا يعود مسافر ،
يثبط الارادة فينا ويجعلنا نؤثر تحمل المكروه الذي نعرفه على الهرب منه الى المكروه الذي لا نعرفه ؟
الا هكذا يجعل التأمل منا جبناء جميعا ،
وما في العزم من لون اصيل يكتسي بصفرة عليلة من التوجس والقلق ،
ومشاريع الوزن والشأن ينثني مجراها اعوجاجا بذلك
وتفقد اسم الفعل والتنفيذ . رويدك الان ،
اوفيليا الجميلة اينها الحورية ، اذكري
في صلواتك خطاياي كلها .
(يدخل ثلاثة اطفال في ملابس رثة وهم يحملون الرشاشات)
الطفل(١) ـ جئناكم في اللحظة المناسبة .
رافد ـ من انتم .
الطفل(٢) ـ اطفال جياع مشردون ينشدون الحياة .
ناظم ـ اجلسوا سنقدم لكم وجبة كاملة من الطعام .
الطفل(٣) ـ من تكون ايها السيد المحترم ؟
ناظم ـ أنا .. أنا .. خبرهم من أكون .
الطفل(١) ـ ماذا تفعلون هنا ، وما هذه المساحيق التي تضعانها على وجهيكما ؟
رافد ـ اننا من ممثلي المسرح .
الطفل(٢) ـ اذن فلتتنته المسرحية .
ناظم ـ ماذا تقصد بقولك هذا ؟
(يطلق الطفل (٢) طلقات من الرشاشة كما يباشر الطفلان الاخران باطلاق النار وحيث يخر ناظم ورافد صريعين)
(يلتفت الاطفال الثلاثة نحو المشاهدين)
(الاطفال الثلاثة مرة واحدة) :
معذرة ايها الاصدقاء .
كان لا بد من انهاء المسرحية وعلى هذه الشاكلة بالذات .
ـ نهاية ـ

بغداد — قاسم حول

صدر حديثا

الشعر العراقي الحديث

مرحلة وتطور

تأليف
الدكتور جلال الخياط

دراسة موسعة تتبع سير تطور الشعر العراقي الحديث في مراحله الثلاث : ذروة التقليد في اواخر القرن التاسع عشر ، والفترة الموطئة للتجديد في النصف الاول من القرن العشرين او « التجديد الموهوم ومدرسة النثر المنظوم » وتتناول الشعراء : (الرصافي ، الزهاوي ، الكاظمي) ، وبعد ذلك يمثل الصافي وحسين مروان والجواهري المدرسة الشعرية المستقلة ، ثم مقدمة مستفيضة عن الشعر الحديث ومحاولات التجديد بعد الحرب العالمية الثانية مع دراسة مفصلة للشعراء : البياتي ونازك الملائكة وبدر شاكر السياب ، وآخرين .

منشورات دار صادر ـ بيروت